245842 ـ تفسير قوله تعالى : (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ).

السؤال

سؤالي عن الآية رقم 9 من سورة القمر ، فقد قرأت تفسير ابن كثير باللغة الانجليزية ؛ لأفهم معنى كلمة "وازدجر" ، والتي لها عدة معاني حيث ذكر هناك : "قال مجاهد : (وازدجر) أي : استطير جنونا . وقيل : (وازدجر) أي : انتهروه وزجروه وأوعدوه ، والأخير هو قول ابن زيد وأنه قول متوجه حسن ، فهلا ذكرتم الراجح في معنى هذه الكلمة لأتمكن من معرفة الترجمة الصحيحة ؟ وإذا كانت تعني الكلمة "أخرجوه" فكيف يمكن التوفيق بينها وبين الآية 38 من سورة هود التي ذكرت أن قوم نوح كانوا يمرون به ويسخرون منه ، فقد يدعي أعداء الإسلام أنه كيف يمكن لهم أن يسخروا منه وهم قد أخرجوه ؟ أنا أؤمن أنه لا يوجد تناقض في القران والسنة ، وأن ما قد يظهر أنه كتعارض سببه جهلنا كما ذكر الشيخ ابن عثيمين ، ولكنني أخشى على صغار السن ممن لا يملكون العلم.

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

قال الله عز وجل : (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ * فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ) القمر/ 9، 10 .

لما ذكر الله تعالى في مطلع سورة القمر حال المكذبين لرسوله صلى الله عليه وسلم ، وأن الآيات لا تنفع فيهم، ولا تجدي عليهم شيئا، أنذرهم وخوفهم بعقوبات الأمم الماضية المكذبة للرسل، وكيف أهلكهم الله وأحل بهم عقابه.

فذكر قوم نوح، أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض ، وكان قومه يعبدون الأصنام، فدعاهم إلى توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له، فعصوه وكذبوه، ولم يزل نوح عليه السلام يدعوهم إلى الله ليلا ونهارا، وسرا وجهارا، فلم يزدهم ذلك إلا عنادا وطغيانا، وقدحا في نبيهم ، فقالوا مجنون ، وانتهروه وزجروه عن دعوى النبوة ، وعما أمرهم به من توحيد الله وترك الشرك .

قال القرطبي رحمه الله في تفسير قوله تعالى (وازدُجِر) :

" أَيْ زُجِرَ عَنْ دَعْوَى النُّبُوَّةِ بِالسَّبِّ وَالْوَعِيدِ بِالْقَتْلِ " انتهى من " تفسير القرطبي " (17/ 131)

وقال ابن الجوزي رحمه الله:

" قال أبو عبيدة: افتُعِل مِن زُجِر. قال المفسرون: زجروه عن مقالته ، فَدَعا عليهم نوح رَبَّهُ (أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ) أي: فانتَقِم لي ممَّن كذَّبني " انتهى من " زاد المسير " (4/ 199)

وقال القاسمي رحمه الله :

" وَازْدُجِرَ أي زجر عن الإنذار والتبليغ بشدة وقساوة، كما يدل عليه صيغة (افتعل) " .

انتهى من "محاسن التأويل" : (9/90) .

وقال السعدي رحمه الله:

" أي: زجره قومه وعنفوه عندما دعاهم إلى الله تعالى، فلم يكفهم ـ قبحهم الله ـ عدم الإيمان به، ولا تكذيبهم إياه، حتى أوصلوا إليه من أذيتهم ما قدروا عليه، وهكذا جميع أعداء الرسل، هذه حالهم مع أنبيائهم.

فعند ذلك دعا نوح ربه فقال: (أَنِّي مَغْلُوبٌ) لا قدرة لي على الانتصار منهم، لأنه لم يؤمن من قومه إلا القليل النادر، ولا قدرة لهم على مقاومة قومهم، (فَانْتَصِرْ) اللهم لي منهم " .

انتهى من "تفسير السعدي" (ص 825) .

وقال ابن عاشور رحمه الله :

" لَمَّا كَانَ الْمَقْصُودُ مِنَ الْخَبَرِ الْأَوَّلِ تَسْلِيَةَ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَرَّعَ عَلَيْهِ الْإِخْبَارَ بِحُصُولِ الْمُشَابِهَةِ بَيْنَ تَكْذِيبِ قَوْمِ نُوحٍ رَسُولَهُمْ، وَتَكْذِيبِ الْمُشْرِكِينَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي أَنَّهُ تَكْذِيبٌ لِمَنْ أَرْسَلَهُ اللَّهُ وَاصْطَفَاهُ بِالْعُبُودِيَّةِ الْخَاصَّةِ ، وَفِي أَنَّهُ تَكْذِيبٌ مَشُوبٌ بِبُهْتَانٍ، إِذْ قَالَ كِلَا الْفَرِيقَيْنِ لِرَسُولِهِ: مَجْنُونٌ، وَمَشُوبٌ بِبَذَاءَةٍ ، إِذْ آذَى كِلَا الْفَرِيقَيْنِ رَسُولَهُمْ وَازْدَجَرُوهُ " انتهى من " التحرير والتنوير " (27/ 180) .

وقال ابن كثير رحمه الله:

" قَالَ مُجَاهِدٌ: وَازْدُجِرَ أَيْ: اسْتُطِيرَ جُنُونًا.

وَقِيلَ: وَازْدُجِرَ أَيِ: انْتَهَرُوهُ وَزَجَرُوهُ وَأَوْعَدُوهُ: لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ. قَالَهُ ابْنُ زَيْدٍ، وَهَذَا مُتَوَجَّهٌ حَسَنٌ "

انتهى من " تفسير ابن كثير" (7/ 476) .

وينظر : "تفسير الطبري" (22/120) .

وقد اختار أكثر المفسرين قول ابن زيد ، وصرح بعضهم برد قول مجاهد .

فقال ابن عطية رحمه الله:

" قوله: (وَازْدُجِرَ) إخبار من الله أنهم زجروا نوحا بالسب والتخويف، قاله ابن زيد.

وذهب مجاهد إلى أن (وَازْدُجِرَ) من كلام قَوْمِ نُوحٍ، كأنهم قالوا: مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ، والمعنى: استطير جنونا واستعر جنونا، وهذا قول فيه تعسف وتحكم ".

انتهى من "تفسير ابن عطية" (5/ 213) .

وقال الشوكاني رحمه الله :

" قَوْلُهُ: (وَازْدُجِرَ) مَعْطُوفٌ عَلَى قَالُوا، أَيْ: وَزُجِرَ عَنْ دَعْوَى النُّبُوَّةِ وَعَنْ تَبْلِيغِ مَا أُرْسِلَ بِهِ بِأَنْوَاعِ الزَّجْرِ، وَقِيلَ: إِنَّهُ مَعْطُوفٌ عَلَى مجنون، أي: وقالوا إنه ازدجر، أَيِ: ازْدَجَرَتْهُ الْجِنُّ وَذَهَبَتْ بِلُبِّهِ، وَالْأَوَّلُ أَوْلَى " انتهى من "فتح القدير" (5/ 147) .

وقال الرازي (14/482) "التفسير الكبير": "والأول أصح" . يعني : قول ابن زيد

وعلى قول مجاهد : فليس فيه أنهم أخرجوه ، ولكن معناه أن الجن تسلطت عليه ، وأثرت على عقله ، فجُنّ وزاد جنونه ، فقال ما قال .

والله تعالى أعلم .